الأبعاد الدلالية لمصطلحات القصّ القرآني

Semantic Dimensions of Qur'anic Storytelling Terms

د. سهام داوي
جامعة الجزائر ـ 1 ـ بن يوسف بن خدة
مخبر الشريعة
كلية العلوم الإسلامية
s.daoui@univ-alger.dz
D. Daoui Sihem
Algeria

تاريخ الاستلام:2022/11/13 تاريخ القبول:2024/01/21 تاريخ النشر:2024/04/30

ملخص:

شغلت القصّة حيّزا معتبرا من النصّ القرآني الشريف، فحفلت بأخبار الأمم السابقة، ما عُرفت شخصياتُها منها من الأنبياء والصالحين، وما ساق الواقعة مجرّدة من تفاصيلها في سياقات: دينية، أخلاقية، سُننية تعطي القصّة دورها في ربط القارئ بالعقيدة التي جاء الرّسل لترسيخها، وتهديه إلى الفضيلة وصالح الأخلاق التي يُمدح أهلها، ويُذُمّ من سواهم من الفاسدين، مع بعد سُنني جليّ.

ورغم كثرة الدراسات المتعلّقة بالقصص القرآني إلاّ أنّ ثمّة زوايا فيها في حاجة إلى التعمّق، والاهتمام، ذلك أنّ العروض القصصية القرآنية قد خدمت المعلومة، والموضوع، والعبرة، فكانت الآيات والمقاطع هي وحدات الدراسة، بينما تخدمنا المصطلحات في استقصاء الدلالة، وتصنيفها، وبناء الأحكام عليها، وهذا ما هدفت إليه هذه الدراسة التي قامت على استقراء آيات القصص، وتحديد مصطلحاتها المفتاحية التي انتقلنا في عرضها من الدلالة المعجمية إلى غاية الاستعمال بمساعدة أداة تحليل المحتوى، وقراءة نتائج الجداول على نحوٍ أحالنا على الأبعاد المتوخاة من هذا القصص. مما أسفر عن تأكيد الغرض الديني للقصة القرآنية.

ويكفينا تقديما لهذا الجهد العلمي أنه استثمر الأدوات البحثية الحديثة في استخراج الأبعاد المهمة للقصص القرآني، بما يضيف إلى المبثوث منها في كتب التفسير تحديدا دقيقا لأنسب الألفاظ، وأحكم التراكيب التي استعملها القرآن الكريم في المقاطع القصصية، في جانب ترسيخ العقيدة، وتنقية الأخلاق، وتلقين القوانين الجارية في الخلق.

الكلمات المفتاحية: الدلالة، القرآن، القصص، المصطلح، الأخلاق.

Abstract:

The story occupied a significant part of the Holy Qur'anic text, and it was filled with the news of previous nations, what its characters knew from the prophets and the righteous, and what was mentionned on the incident abstracted from its details in religious, moral

and god's laws context gives the story its role in linking the reader to the doctrine that the apostles came to consolidate it,

Despite the large number of studies related to Qur'anic stories, there are angles in them that need depth and attention, because the Qur'anic narrative presentations have served the information, the subject, and the lesson, so the verses and passages were the units of study, while the terms serve us in investigating the semantics, classifying them, and building judgments on them, and this is what this study, which was based on extrapolating the verses of the stories, identifying their key terms that we have moved in their presentation from lexical connotation to use with the help of the content analysis tool, and reading the results of the tables which resulted in confirmation of the religious purpose of the Qur'anic story

. It suffices to appreciate this scientific effort that it has invested modern research tools in extracting the important dimensions of Qur'anic stories, adding to the precise definition of the most appropriate words in the books of interpretation, and the wisest structures used by the Holy Qur'an in the narrative passages, in terms of consolidating the faith, purifying morals, and indoctrinating the laws that are going on in creation.

Keywords: **Significance**. **Qur'an** . **Stories** . **Term**. **Ethics**.

1- مقدمة:

للقصّ في القرآن الكريم مصطلحاتُه الخاصّة التي تخدم أهدافه وغاياته، وتنأى بها عن مشابهة السّرد الأدبي الذي يُعنى بالعبارة فيعمد إلى المحسنات اللفظية، والنهايات السجعية، ويتجاوزُ السّردَ التاريخي المطعّم بتفاصيل الأحداث، وضبط سنواتِها إلى عرضٍ يثبّتُ العقيدة، ويؤسس للفضيلة، ويبثّ العبرة من أجل مسيرةٍ إيجابيةٍ للأجيال.

ويتسنى لنا من خلال هذه الزاوية البحثية بمقاربتها الرّمزية استثمار آيات القصص القرآني في ترسيخ عقيدة التوحيد، ونشر الأخلاق الفاضلة، ونبذ السيّء منها، مع التحذير منه، باتّخاذ العبرة من مصارع الفاسدين، مع لفت الانتباه إلى تجدّد الموعظة في مسارها التاريخي، وتوجيه القرآن الكريم إلى الاستفادة من أحوال من سبقنا من الأمم لتفادي ما استحقّوا به الهلاك، وحسبنا في ذلك أنّ الله تعالى قد سمّاه (أحسن القصص) في قوله:" **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ**" (يوسف3)، فإنما نهدف بذلك إلى:

- خدمة القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.
- إبراز الدّين والأخلاق باعتبارهما محورين رئيسين في الدعوات، والتأسيس للفقه السنني القصصي.

وننطلق في البحث من إشكالية مفادها:

كيف خدمت مصطلحات القصص القرآني أبعاده الدينية، والأخلاقية، والسّننية؟

وتترتّب على هذه الإشكالية تساؤلات أبرزها:

- ✓ ما حدود دلالة مصطلحات القصص القرآني على تثبيت العمق الديني وما تجلّيات رسائلها الأخلاقية وتوجيهاتها السننية؟
- ✓ - ما المصطلحات التي عكست البعد الديني للقصص القرآني، وما هي الدلالة الجامعة لها؟
- ✓ - ما المصطلحات التي عكست البعد الأخلاقي للقصص القرآني، وما الدلالة الجامعة لها؟
- ✓ - ما المصطلحات التي عكست التوجيه السُّنني لقصص القرآن الكريم، وما الدلالة المشتركة بينها؟

ويتأسّس هذا البحث بالإجابة عن هذه التساؤلات التي تسير في الاتجاهات الغائية الثلاثة للقصص القرآني بما نقف من خلاله على الغرض الديني في الدعوة إلى الإيمان، وتوحيد الله تعالى، ونبذ ما سواه من الشركاء، والنهي عن الكفر والعصيان والزيغ في العقيدة، بما عرضه الله تعالى من أحوال الأمم السابقة من الجحود والصدود، وما أعدّ الله تعالى من نعيم أو عذاب للناس بحسب ما كانوا عليه.

ونجلّي في ثناياه الزكيزة الأخلاقية التي تقوم في وجهها الإيجابي على الصدق، والوفاء، واتّباع الحق، وتنهى في المقابل عمّا عُرفت به الأمم التي حاق بها الهلاك من الغدر والخيانة، والجحود، والفحش في القول والفعل وسائر ما ذكره الله تعالى من أحوال الأمم.

أمّا جانب السُّننية فلنا فيه عرض دقيق للآيات على بعضها، من أجل استخلاص العبر من الأمثال التي يضربها الله تعالى للناس، وما صرّح به من كون هذه القصص ذكرى، وفكرة، وعبرة من أيام يداولها الله تعالى بين الناس.

وإنّ المنهج البحثي الذي يخدمنا في ذلك قائم بالأساس على الاستقراء في تتبّع الآيات القصصية، واستخراج مصطلحاتها المكرّرة والعميقة في العلاقة بهذه الأبعاد، لتحليلها استفادة من أداة تحليل المحتوى بوحدة

اللفظ، وفئات منتقاة تخدم الحقول الدلالية المعيّنة، حيث ننطلق من توضيح دلالاتها مفردة ونستفيد من تكميمها مجتمعة ضمن قاموس دعوي أخلاقي للوصول إلى النتائج العامة، والأحكام الشاملة.

ومع استفادة الدراسة ممّا سبقها من المؤلفات والأبحاث المتعلّقة بالقصص القرآني، إذ كانت منها التفاسير أو الكتب المتخصصة إلاّ أنّ أقرب الدراسات إليها، وأنفعها في بابها كانت بعنوان "**بلاغة القص في القرآن وآفاق التلقي**" لسعاد عبد الله الناصر ، كتاب الأمة، العدد 169، قطر، السنة الخامسة والثلاثين، رمضان 1436هـ. حيث اقترب موضوعها من هذا الموضوع في نطاق تحديد الأثر المسجّل للقصص على المتلقي، وخاصة في الجانبين الأخلاقي والسنني.

والذي يجدر بنا ذكره في هذا المقام أنّ الدراسة الكمية لمجال غلبت فيه الدراسات الكيفية، واستنفدت في بعض جوانبه أغراضها يكسب البحث جدّة، ودقة، علاوة على الموضوعية، ذلك أنّ عينة هذه الدراسة التي تمثلت في جميع آيات القصص التي تكاد تستغرق ثلثي النص القرآني، ومصطلحاتها المفتاحية التي تمّ تحديدها بعناية تعكس اتجاهات الدلالات والمعاني التي كانت أساس عملية الاستقراء ومن ثمّ الإحصاء اللفظي الذي جعلناه دليلا لاستكشاف درجات الحضور، واستكناه المقاصد العقدية، الأخلاقية والسننية المتوخاة.

2 ـ مفهوم القصّ في اللغة والاصطلاح

1.2: القص في اللغة:

ينصرف معنى القصّ في اللغة إلى تتبّع الأثر وتقصّيه، يقال: خرج فلان قصصا في أثر فلان إذا اقتصّ أثره وقيل: القاص يقصّ القصص لاتّباعه خبرا بعد خبر، وسوقه الكلام سوقا(ابن منظور، 1984، 74/7)،

والقصّ، والقصص جاء صريحا في القرآن الكريم، نحو قوله تعالى:" **وَرُسُلا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيما**" (النساء 164)، كما دلّت عليه ألفاظ أخرى، منها:

الحديث: في قوله تعالى:" **وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ**"(طه9)، وهو هنا بمعنى الخبر.

النبأ: كما في قوله تعالى:" **كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرا**" (طه 99)، تعبيرا عن الإخبار بالقصص.

التلاوة: قال تعالى:" **نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْم يُؤْمِنُونَ**" (القصص 3)، أي نقص عليك.

وكلها تدور في معنى الإخبار، فقصص القرآن الكريم واقعي حدث في الزمان الغابر، لا يخالطه الخيال، ولا يسيطر عليه، جاء بالصدق مما ذكرته الكتب السابقة، وما لم تذكره، والهدف العميق لهذا القصص الذي شغل مساحة واسعة من آيات القرآن الكريم هو إرساء منظومة دينية، أخلاقية، سننية يسير المسلم على هداها فيستقيم لله تعالى كما أمره، ويعمر الأرض بما يرضيه عز وجلّ، ومصداق ذلك في قوله تعالى:" **نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدى**" (الكهف13)، مما يؤكد واقعية القصص، وكونها واسطة بيانية تبليغية

لناموس سماوي، ينطلق من العقيدة، ويمرّ بالأخلاق، ليصل إلى رسم نظام حياة متكامل لا اعوجاج فيه.اعتمادا على المرجعيات التاريخية، والحقائق الإنسانية بإشراف الأنبياء عليهم السلام.

2.2: **القص في الاصطلاح:**

يقول (الرازي) موضّحا المعنى في حدود ما يتعلّق بالقصص القرآني:"والقصص هو مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدين، ويرشد إلى الحق، ويأمر بطلب النجاة"(الرازي، 1981 ، 203/2) فاشتمال الكلام بمعاني ألفاظه يسير في الاتجاهات التي قرّرناها من الهداية إلى الدين، والإرشاد إلى الحقّ اتباعا لمحاسن الأخلاق، واجتنابا لمساوئها، أمّا الأمر بطلب النجاة فلا يصبّ إلاّ في اتجاه ما يدعو إليه السّرد القرآني لقصص السابقين من اتخاذ العبرة، وعدم الغفلة عن سنن الله السارية في الخلق.

ويقترب لفظ القصّ ومشتقاته في القرآن الكريم من معنى المتابعة، وتجتمع المواضع التي ورد فيها المصطلح بمشتقاته على تقرير صدق الرسالات، وإيراد أخبارها من حيث طبيعتُها، وطرق الدعوة إليها، وما واجهها من جحود أقوام الأنبياء، مع ما تهدف إليه من تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم، فهي "تشير إلى حقيقتين: أولاهما كون القصص بعلم، اي صادرا عن معرفة يقينية وليس مجرد تخيّل، وثانيتهما: الإشارة إلى هدف القص، وهو التدبر والتقوى والصلاح"(لعويد، 2016، ص21)

وعليه يكون المفهوم الاصطلاحي المتعلق بالقصص القرآني أوسع وأدق من المفهوم الأدبي العام، على اعتبار الغاية والقصد منه، فهو وسيلة لربط أمتنا بسابقاتها من الأمم عبر تعريفها بما كان من أحوالها، صدقا وعدلا يدحض الإسرائيليات، ويسوق الحقائق، مع استثمار هذه الحقائق في الدعوة إلى توحيد الخالق الممتن على عباده بإرسال الرسل، والضابط لسلوكهم بمحاسن الأخلاق في كل مستوياتها، بين العبد وربه، وبينه وبين نفسه، وبينه وبين الناس، وخاصة ما تعلق منها بأخلاق الدعاة صبرا، ويقينا، وحِلما على المعاندين. وبذلك مضت سنة الله في الدعوات، وفي التدافع بين الخير والشرّ.

3 ـ البعد الديني لمصطلحات القصص القرآني

جاء القصص القرآني لأغراض عظيمة على رأسها الإرشاد والتعليم والهداية، حيث تعتبر القصة من أهم وسائل القرآن الكريم في نشر الدعوة، وتثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن معه، ومن بعده إلى يوم الدين تدليلا على الحق الذي توالت على الدعوة إليه الرسالات، والتوحيد الذي اجتمعت عليه النبوات، وافترقت بسببه الأمم

1.3: **الرب**: جاء الأنبياء بشرائع شتى، ودين من أصل واحد، دعوة للإقرار بالربوبية، وتحقيق توحيد الألوهية، تعرّفا على الخالق، وعبادة له بما يليق به وما شرعه لكل قوم، وهداهم إليه، وتعتمد آيات العقيدة على هذا المصطلح الذي يدل على ثلاثة أصول، هي(ابن فارس، ، مادة ر،ب):

الأصل الأول: إصلاح الشيء والقيام عليه؛ فالرب: المالك، والخالق، والصاحب. والرب: المصلح للشيء، يقال: ربَّ فلان ضيعته، إذا قام على إصلاحها. والله جل ثناؤه الرب؛ لأنه مصلح أحوال خلقه. والرباني: العارف بالله عز وجل، والحبر، منسوب إلى الربان. وربَّ الولد: أي رباه حتى أدرك، فـ (الربيب) هو الصبي الذي تربيه، و(الربيبة) الصبية.

الأصل الثاني: لزوم الشيء والإقامة عليه، وهو مناسب للأصل الأول؛ يقال: أربت السحابة بهذه البلدة: إذا دامت. وأرض مُرْب: لا يزال بها مطر؛ ولذلك سمي السحاب رباباً. ويقولون: قد ربّ فلان قومه: أي: ساسهم، وجعلهم ينقادون له.

الأصل الثالث: ضم الشيء للشيء، وهو أيضاً مناسب لما قبله؛ يقولون: فلان يَرُبُّ الناس: أي: يجمعهم، أو يجتمع عليه الناس، ويسمون مكان جمعهم (بالمرّبّ). و(التربُّب) هو الانضمام والتجمع. وتأتي كلمة (الرب) بمعنى السيد أيضاً، فتستعمل بمعنى ضد العبد، أو الخادم.

وهي تجتمع عند أصل واحد هو أنه تعالى المنشئ، والمربي، والملك، والسيد، بما تتّضح معه مقتضيات العظمة والتفرّد من إذعان العباد، واستجابتهم للرّسل، فالدعوات أساسها عقيدة صحيحة في صفة الخالق، وخضوع لمطلق إرادته في خلقه، على ما يبلّغه الأنبياء من ذلك.

2.3: **الله**: الله هو المعبود بحق، و هو عَلم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد، وهو اسم الذَّات العليَّة، خالق الأكوان والوجود، وهو الإله الحق لجميع المخلوقات ولا معبود بحق إلَّا هو(الرازي، 1963،46/1). وقد قامت كل الدعوات على عقيدة التوحيد، تعريفا بالخالق في ربوبيته، وحثّا على توحيده في ألوهيته، بالإقبال عليه وحده في العبادة، وعدم إشراك غيره به، لذلك فإنّ آيات القصص في مجملها لم تخلُ من أحد الاسمين، على تفاوت في الاستعمال بين العهدين المكي والمدني على ما وقفنا عليه في استقرائنا للآيات، حيث حرص الأنبياء على ربط أقوامهم بالخالق تعظيما، وإرشادهم إلى عبادته إفرادا وتخصيصا، وناسب كلّ اسم منهما السياق الذي جاء فيه على نحو دقيق.

3.3: **الدين**: تستعمل لفظة الدين في كلام العرب بمعانٍ شتى، هي: القهر، والسلطة، والحكم، والأمر، والإكراه على الطاعة، فيقال "دان الناس" أي قهرهم على الطاعة، وقال صاحب مقاييس اللغة:" الدال، والياء، والنون أصل واحد إليه يرجع فروعه كلها، وهو جنس من الانقياد والذلّ"(ابن فارس، (د ي ن) ، 319/2)، أما في القرآن الكريم فقد جاء المصطلح شاملا لما يدلّ على يوم الحساب، وما يعطي معنى المال المستحق، وما يدلّ على السلطة، وعلى الشريعة والمنطومة الفكرية الباعثة لها، فهو يعني "القانون، والحدود، والشريعة والنظام الفكري والعملي الذي يتقيد به الإنسان، فإن كانت السلطة التي يستند إليها المرء لاتّباعه قانونا من القوانين أو نظاما من النظم سلطة الله تعالى، فالمرء ولا شكّ في دين الله عز وجل، وأما إن كانت تلك السلطة سلطة ملك من الملوك، فالمرء في دين الملك"(المودودي، 1971 ، ص125)، ولا أنسب في آيات القصص من الدعوة إلى اتباع الدين الحق، دين الله تعالى، بما يتأسس عليه من عقيدة صحيحة، ونبذ الأديان الزائفة الضالة، ومن متعلقاته: الحق، الكتاب، البينات، الشريعة، الآيات..

4.3: **الاستجابة**: اقترنت الاستجابة في الآيات القصصية بتأكيد معية الله تعالى لأنبيائه ورسله في دعواتهم، نصرة وتفريجا وتحقيقا للمراد، ومن متعلقات هذا الحقل الثواب، والخير، والفضل، والكرم الرباني، ومن جهة أخرى فالاستجابة مقرونة باستجابة العبد لربه فالجزاء من جنس العمل، وأهل الاستجابة موفَّقون لشكر نِعَم الله (عز وجل)، باستعمال الجوارح التي وهبها الله إياهم في سماع الحق والاستجابة له(ابن عاشور، 1984، 132/5)، يقول سبحانه:"**إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ**"(**الأنعام 36**)، كما أنهم موعودون بالمغفرة والنجاة، والجنة يوم القيامة، يقول تعالى:"**يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**"(الأحقاف

31)، ويقول (عز وجل):"**لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى**"(الرعد18)، ولا تُرجى الاستجابة إلاّ من احياء القلوب، ذوي الفطرة السليمة، ممن يشكلون ثمرة الدعوات. والاستجابة تتعلّق بالإيمان الذي ينعكس على الفعل والموقف.

5.3: **الهلاك**: الهلاك مصدر هلك، يهلِكُ، هلاكا(الجوهري، ، 1616/4)، ومعناه العام هو الموت، لكن يأتي لمعانٍ أخرى في القرآن الكريم:

ـ **الموت مطلقا**: كما في قوله تعالى:" **إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ**"(النساء 176)

ـ **الفساد**: كما في قوله:" **وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ**"(البقرة 205)

ـ **افتقاد الشيء عن المرء مع وجوده عند غيره**: كما في قوله تعالى:" **هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ**"(الحاقة 29)

ـ **العذاب**: كما ورد في آيات كثيرة منها قوله تعالى:"**أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ**"(الأنعام6)، وهو المعنى الذي تدور حوله هذه الدراسة، مما تعلّق بعقاب الأمم الغابرة، حيث جاء بهذا اللفظ وبغيره، فعبر عنه بالعذاب، والتتبير، والتدمير، والانتقام، والدمدمة، والقصم، والأخذ.. وإنما غلب المصطلح الذي بنينا عليه الاستقراء بقوة ما حمله من معنى العقاب العظيم الشامل للمكذبين الذين تراوحت مصائرهم بين الغرق، والريح، والصيحة، والرجفة، والصاعقة، والخسف، والظلّة، والحجارة، والمسخ، وقلب الديار.."وفي حديث القرآن عن مصارع الأمم الهالكة بيان لشدة وهول ما نزل بهم من عقاب الله وعذابه، إذ أخذهم أخذا أليما شديدا، فسلّط عليهم أصنافا من الهلاك تقشعر لها الأبدان، وترتعد لها الفرائص، فذاقوا منها الخزي في الحياة الدنيا قبل الآخرة"(باباسيلا، 2000، ص62)

جدول1. مصطلحات التأسيس العقدي في آيات القصص

الإحصاء	الرب	الله	الدين	الاستجابة	الهلاك
التكرار	418	398	44	25	28
النسبة	%45.78	% 43,59	% 4.81	% 2,73	% 3.06

أكثر الألفاظ دورانا في قصص القرآن الكريم هو لفظ الربّ، لما يحمل من معاني العظمة، والخلق، والتدبير، والملاذ للخليقة، حيث خاطب الأنبياء أقوامهم به إرشادا إلى الحق المبين، على ما اقترن به في الآيات التي استقرأناها من إعلان كلّ نبي لتسليمه له سبحانه، ومن ثمّ الدعوة إلى الإيمان به، والتحذير من مغبة الجحود والتكذيب، فكان تردّد هذا اللفظ 418 مرّة بنسبة 45.78%، وجاء من صيغها: ربي، ربنا، ربكم، ربّ، مع انفراد معنوي في سورة "يوسف" للفظ في صيغتي"أرباب" التي جاءت في معرض استنكار ترك الله الواحد والتوجّه بالعبادة إلى الأرباب المتفرقين على لسان يوسف عليه السلام. و"ربه" و"ربك" بمعنى سيده لصاحب الرؤيا التي فسّرها له.

وسجّلنا في هذا السياق تكرار استعمال لفظ "الله" الذي ناسب سياقات الألوهية، والحث على عبادة الله تعالى بدل العقائد الضالة المضلة في ذلك، حيث أحصينا له 398 تردّدا، بنسبة 43,59 %، بما يتناسب مع التعريف بالخالق أوّلا، ثمّ الدعوة إلى عبادته، فسياق القصص استدعى أسبقية للفظ الرب على لفظ "الله" استجابة لمقتضيات المقام، ورعاية لمناسبة الدلالة.

والدين من صيغه في سياقات القصص: الدين، دينكم، ديني، الدين القيم، على ما تكرّر وتقرّر فيما يزيد عن أربعين موضعا أحالت إلى ما دعا إليه الرسل والأنبياء من التزام الشريعة والمنهاج الذي ارتضاه الله عز وجل. فالإسلام علم ثم عمل، معرفة بالله تعالى ثم عبودية، فتديّن بإقامة الشعائر، والحرص على الاحتكام إلى التشريعات، وهذا عين ما عكسته تراتبية تكرر المصطلحات.

ولقد تردّدت لفظة الهلاك كثيرا في سياق الحديث عن مصير الضالين المكذبين من الأمم، فجاءت على صيغ: فأهلكوا، فأهلكناهم، هلك، مهلك، وتوسّعت بدلالتها إلى ما استغرق أنواع العذاب والتدمير والتنكيل، جزاء وفاقا، فكان الحلقة الختامية في سرد فصول الدعوات، والعقاب العادل الذي جاء بعد إقناع، وصبر وحلم، وعرض أمين لحقائق الربوبية والألوهية، وتفاصيل الدين التشريعية.

أما الاستجابة فقد جاءت في قصص الأنبياء بصيغة واحدة بعد دعواتهم أن ينصرهم الله تعالى، وفي "فاستجاب" بما يوحي بالفورية والتعجيل، وفي سياق القصص ذُكر هذا اللفظ على لسان إبليس تبرؤا ممّن اتبعوه بأنهم استجابوا له "**وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِي**"(إبراهيم 22)

3 ـ البعد الأخلاقي لمصطلحات القصّ القرآني

جاء الرسل مبشرين ومنذرين لأقوامهم نبذا لسيّء الأخلاق فيهم، ودعوة إلى فضائلها، متّحدين في الدّعوة إلى توحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له مع تباين في الجانب المركّز عليه بالنظر إلى الغالب عليهم من المعاصي، فيدعو نوح عليه السلام قومه حاثا على نبذ الأصنام التي عبدوها من دون الله تسفيها لعقولهم التي زاغت عن طريق الهدى، وينكر هود عليه السلام على قومه بطش الجبارين، وعيش المترفين، أما صالح عليه السلام فقد نهى قومه عن طاعة أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وأنكر لوط عليه السلام على قومه شذوذهم الجنسي، وابتكار الفاحشة التي ما سبقهم بها أحد من قبل، بينما دعا شعيب عليه السلام قومه إلى العدل الاقتصادي، وإصلاح المعاملات، بالوفاء في الكيل، والوزن بالقسطاس المستقيم، وألاّ يبخسوا الناس أشياءهم ولا يعثوا في الأرض مفسدين، وتوسّع النطاق إلى الدعوة إلى الحكم بين الناس بالحق في قصة داود عليه السلام.

ولقد وصف الله تعالى أنبياءه بجملة من الأوصاف الخلقية تعدادا لفضائلهم باعتبارهم أسوة للناس، فقال في نوح عليه السلام:" **ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدا شَكُورا**"(الإسراء3)، ووصف إبراهيم عليه السلام بقوله:"**وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ**"(النجم37)، وقال عن إسماعيل عليه السلام:" **إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولا نَّبِيّا**" (مريم 54)، وعن موسى على لسان ابنة الشيخ:" **إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ**"(القصص 26)، وعن داود:"**إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ**"(ص17)، وكذلك سليمان:" **نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ**"(ص30)، أما يحي عليه السلام فقد تميّز بخلق بر الوالدين واللين فقال عنه تعالى:" **وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيا**"(مريم 14)، وشابهه في ذلك المسيح عليه السلام برا بوالدته ولينا مع من حوله " **وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارا شَقِيا**"(مريم32)، واشترك في

التنويه بالصبر إسماعيل وإدريس وذو الكفل الذين قال فيهم:" **كُلّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ**"(الأنبياء 85)، وأفرد في الوصف أيوب عليه السلام:" **إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِراً نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥ أَوَّاب**"(ص44)، وجمع كلّ الفضائل للرسول محمد صلى الله عليه وسلم فقال له مخاطبا:" **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيم**"(القلم4)، كما دعاه للسير على هدى من سبقه من الأنبياء فقال:" **أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ**"(الأنعام90)

ونقتصر من مفاتيح الأخلاق المؤسسة للدعوات على مصطلحات تردّدت كثيرا في القصص، وتميّزت بصلاحية الاستغراق والاشتمال لما رافقها من ألفاظ وعبارات تضمنتها آيات القصص، إثباتا لها، ونفيا لما يقابلها تبعا أو تصريحا، على النحو الآتي:

1.3: الصبر:

الصبر خلق قرآني عظيم، حثّ عليه الكتاب العزيز في مواجهة البلاء والأذى والظلم، وأعطانا الأنبياء النماذج المثلى فيه، حيث وردت مادة (ص، ب، ر) بكل مشتقاتها فيما يزيد عن مائة موضع، واستأثر جانب القصص منه بحظ وافر على سبيل الحث عليه، والثناء على المتحلين به، "وما تكرهه النفس أنواع وألوان شتى، ولهذا تتسع دائرة الصبر فتشمل مجالات رحبة أكثر مما يقف عنده عادة كثير من الناس إذا ذُكرت كلمة "الصبر""(القرضاوي، 1989،ص8)، فالمصطلح قرآني أصيل، والدلالات عميقة عمق الأذى الذي لا يقابله الصابر إلاّ بالصمود والاحتساب، فلا يغادر طريقا رسمه لنفسه، ولا يتنازل عن دعوة حمل همّها، ويمضي بخطى واثقة مبتغيا وجه الله تعالى، حريصا على إتمام المهمة المنوطة به إلى أن يأتي الفرج. بذلك تكررت وصايا القرآن به، حثا عليه، وتوطينا على تلقي ما يُدفع به، حيث قال تعالى:" **لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذى كَثِيراًۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ**"(آل عمران 186)

2.3: الحِلم:

الحِلم خُلق قرآني رفيع، وصف به الله تعالى أنبياءه، ووصف به نفسه فتسمَّى بالحليم، ووردت آيات تدعو المسلمين إلى التَّحلّي بهذا الخُلق، وعدم المعاملة بالمثل ومقابلة الإساءة بالإساءة، والتَّرغيب في الصَّفح عن الأذى والعفو عن الإساءة.فقال تعالى:"**وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينُ ينفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**"(آل عمران: 133- 134)، كما قال في سياق وصف اسماعيل عليه السلام:" **فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ**" (الصافات:101)، و عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية: "أمر الله المؤمنين بالصَّبر عند الغضب، والحِلْم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله مِن الشَّيطان، وخضع لهم عدوُّهم كأنَّه وليٌّ حميم"(ابن كثير، 181/7)

ولا أنسب للتبليغ من ثنائية الصبر والحلم، فالغاية تهوّن كلّ مشقّة، والإصرار ضمان الاستمرار، أمّا التراجع والقنوط فلم يكن من شيم الأنبياء المبلّغين، ولا الصالحين المتصدّرين للدعوة، وهذا أساس أخلاقي متين في تقدير الأولويات، وتجاوز المؤذيات، تصبّرا وتجلّدا، وتجاوزا عن الظالمين توسّما للخير فيهم إن كتبت لهم الهداية.

3.3: الهداية

الهداية من المصطلحات القرآنية التي ذُكرت بمشتقاتها مئات المرات في القرآن الكريم،، وهي على مستويات دلالية تتدرج من هداية النفوس غريزيا إلى مصالح معاشها، إلى التعلم والاهتداء إلى المصالح المعادية، ثمّ هداية التوفيق، وصولا إلى الهداية يوم المعاد إلى الجنة أو النار، وضمن هذا المصطلح نجد دلالات: الإخلاص، والاستقامة، والصلاح، والخير، والنجاة، والاجتباء، والفضل، والتقوى، وسائر ما يوحي بالعدول عن الانحراف والزيغ والضلال، فالقرآن الكريم كتاب هداية، والأنبياء والصالحون رُسل هداية، والآيات البينات حجج هداية، والهدى نور يقذفه الله في القلب، و'يقيم به الدرب، ولذلك كان ركيزة أخلاقية أساسية للدعوات، باعتبارها مقياسا لنجاحها، وتحقيقها للمراد منها.

4.3: العبادة:

العبادة والعبودية معناها الخضوع والتدلّل في اللغة: اي استسلام المرء لأحد غيره، انقيادا لا مقاومة معه، ولا عدول عنه، ولا عصيان له، وعلى ذلك تقول العرب "بعير معبّد" على البعير السلس المنقاد، وطريق معبّد" للطريق الممهّد للوطء، والعبد المملوك خلاف الحرّ، والعبادة الطاعة مع الخضوع (ابن منظور، 259/1984،4). وتتضمّن معاني الإقرار بالضعف للخالق، والخضوع له، واداء الشعائر ركوعا وسجودا، والتسليم له أو لمن هو دونه خضوعا وانقيادا، كما تُعدّ الغرض الأوّل والحصري من الخلق، لقوله تعالى:" **وما خَلَقْتُ الجنَّ والإنسَ إلاّ ليعبدونِ**"(الذاريات56).

"وكلمة العبادة في القرآن الكريم قد استُعملت في بعض المواضع بمعنى العبودية والإطاعة، وفي الأخرى بمعنى الإطاعة فحسب، وفي الثالثة بمعنى التألّه وحده"(المودودي، 1971، ص197)، وقد كان سياق القصص مناسبا لحمل هذا المصطلح على معانيه كافة تثبيتا للصحيح ممّا يقدّم الأنبياء النموذج الأمثل فيه، ونهيا عن المنحرف الصريح على ما نستقصيه إحصاء في الجدول أدناه.

وحاصل هذه الركائزوالأسس الأخلاقية التي دارت حولها آيات القصص القرآني أنّ سلاح الداعية اقتداء بالأنبياء عليهم السلام هو الصبر على الجحود والصدود، وتحمّل مشاق الدعوة، والحِلم على المدعوين رجاء انقيادهم ولو بعد حين، مع الحرص على تحقّق الهداية، وترجمتها بالعبادة التي ترضشي الله تعالى وتخلّص أصحابها من الخضوع للشيطان والطاغوت. وهذا مدار آيات القصص التي غطّت مرتكزات الدعوة وتجلياتها، وازدانت باللمسة التعبيرية الفنية، "فالقصة القرآنية ـ برغم قلّة الألفاظ المستخدمة في أدائها ـ حافلة بكلّ أنواع التعبير والعناصر الفنية من حوار إلى سرد، إلى تنغيم إيقاعي، إلى إحياء للشخوص، إلى دقة رسم الملامح، أدركنا مدى سحر هذا الإعجاز الفني الناشئ عن القصة القرآنية"(حريري، 1988، ص112)

جدول2. أسس مصطلحات الاستقامة الأخلاقية في آيات القصص

الإحصاء وفئاته	الصبر	الحلم	الهداية	العبادة
التكرار	34	15	46	53
النسبة	% 23.77	% 10.48	% 32.16	% 37.06

الصبر شعار الأنبياء في دعوة أقوامهم، وهو الزاد في مسيرة الدعوات الشاقة، دعانا إليه القرآن الكريم، وحثنا عليه تأسيا بالأنبياء الذين جاء اللفظ في حقهم على سبيل التصريح والحكاية، واصبروا، وصَبروا، صبرنا، فلنصبرنّ، اصَبرنا، صابرا، وحسبنا من نماذجه نبي الله أيوب، ويعقوب، وإسماعيل عليهم السلام فيما أصابهم في أبدانهم، وأولادهم، وذواتهم، يضاف إليه ما اشتركوا فيه من الصبر على الكفر والجحود والأذى. وقد تكرر بمشتقاته في آيات القصص 34 مرة، بنسبة 23.77 %، متبوعا بالحِلم الذي خُصّ به بعض الأنبياء تمثيلا لا حصرا، وعُقّب باسم الله الحليم مقرونا بالعلم، ومتعلقات القدرة، بما يدلّ على العفو مع القدرة، وقبول التائب ولو كان من أشدّ المعاندين الجاحدين. حيث تكرّر 15 مرة، بنسبة بلغت 10.48 %، بالمقارنة مع العبادة والهداية المستأثرين على التداول في الآيات القصصية بما يتناسب مع جو الدعوة، وأخلاق المستجيبين الخاضعين لأمر الله تعالى.

وقد وردت العبادة في آيات القصص بصيغ شتى :عبد الله، عبادته، اعبدوا، فاعبدوه، أعبد، تعبد، فاعبدني، أفتعبدون، عبادك، عبادي، عبّدتَ، يعبدوها، لا تعبدوا، يعبدون، إثباتا ونفيا، بما يدعو إلى التجرّد لله تعالى في الطاعة، ويرفع مقام الصالحين لأن يكونوا عبادا لرب العالمين، نسبة ورفعة، بينما يُنفى عن أسرى الهوى، ومتّبعي الشيطان أن يكونوا على الطاعة بنصيب، وتُذمّ عبادتهم التي توجهوا بها إلى الطاغوت والشيطان، بما يعطي بعدا تقويميا للعبادة التي لا ينفك عنها البشر، ولكنهم قد يحيدون بها عن المطلوب فيكونوا من الخاسرين. حيث تكرّر اللفظ بمشتقاته 53 مرّة في نطاق القصص فقط، فضلا عن آيات العقيدة، والتشريع، وسياقات التوجيهات الأخلاقية في القرآن الكريم، فما يكون في القلب من اعتقاد يعكسه السلوك خضوعا أو صدودا وانحرافا بالخضوع إلى غير الله تعالى.

ولعلّنا نستنتج من لغة الأرقام والحسابات لطيفة من اللطائف القرآنية، فبشيء من الصبر، وقليل من الحلم، تتحقق درجة كبيرة من الهداية، وتفتح مجالا رحبا للعبادة على ما يحبه الله تعالى ويرضاه من عبادة القلوب والألسنة وسائر الجوارح.

4 ـ مفاتيح النظر السنني في قصص القرآن

في أغراض القصص القرآني ترسيخ المعارف، وتقدير المواقف، وتجلية الحقائق حول الكون والإنسان والحياة، فالمعرفة ليست مطلوبة لذاتها في المفهوم الإسلامي، وإنما تشكل ركيزة للوعي العميق بحقائق الأشياء، وفقه الأحداث في حركيتها على نحو يستخرج النواميس المسيطرة، والقوانين التي تقود إلى النتائج الحتمية، وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم بالتفكر، والتدبر والاعتبار في تذييلات الوحدات القصصية.

1,4: **الاعتبار**: فالعبرة تصبّ في معنى امتلاك الخبرة للعبور الآمن لصناعة المستقبل، وتجنب سقطات السابقين، والتاريخ هو المختبر الحقيقي لمسارات الأمم ومسالكها، "والمتأمل في قصص القرآن عن الأمم السابقة يدرك مغزى طلبه منا الاعتبار ـ إن كنا من ذوي الألباب ـ حين يصف أحوال تلك الأمم من ترف عيش، وبطر حق، وكفر رب، وانتكاس فطرة، وارتكاس تصور، وكيف أصابها الدمار ولحق حضارتها التبار، حيث بين سبحانه وتعالى في

ثنايا تلك القصص أو تعقيبا عليها سنن الله في خلقه، ونواميسه المتحكمة في هذه الحياة والموجهة لها، لنتبين أسباب السقوط، ودواعي النمو والإقلاع"(جاسم سلطان،2010، ص25)، وقد جاء التعقيب الختامي على قصة يوسف عليه السلام مشبعا بهذه الدلالة، شاملا لما يُرجى من الاعتبار بسائر قصص القرآن الكريم، حيث قال تعالى:" **لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ**"(يوسف111)

2.4 ـ التفكر: قال تعالى:" **فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ**"(الأعراف 176)، فأحوال الأمم السابقة التي ذكرها القرآن الكريم ميدان خصب لإعمال العقل والفكر وقوفا على أصناف الناس، ومآلاتهم الحتمية التي يقودهم إليها الطريق الذي ارتضوه. وقد تردّدت الدعوة إلى التفكر في ثنايا مقاطع القصص القرآني على لسان الأنبياء، وفي شكل تعقيبات ختامية تحيل على القصد والغاية.

3.4: **التدبر**: يتعين الجنوح إلى التدبر بعد التأمل والتفكر عبر الالتفات إلى المآلات والعواقب، في سبيل الاتّعاظ، والاستجابة لنداء الله تعالى.ويجدر بنا ونحن نقرأ قصص القرآن التدبر حتى "يتجنب المسلمون الوقوع في شرك الأسباب، التي تسوق إلى أخطاء تلك الأمم، وإذا أخذنا قصة موسى مع فرعون مثلا فإننا نجدها ذكرت في القرآن 120 مرّة، ولو يكن ذكرها للتسلية، وإنما ذكرت حتى لا يتحول الخلفاء إلى فراعنة، وحتى تعرف الشعوب أيضا أن عبادة غير الله جريمة، وأنّ الرضا بالذل ستكون عقباه الهوان في الدنيا وفي الآخرة"(لعويد، 2016، ص34)

ولا يعدم الهدف ما أشار إليه القرآن الكريم من تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من الصحابة المستضعفين بعثا للأمل في النفوس، وتثبيتا على الحق الذي أوذوا في سبيله.

4.4: **تثبيت الفؤاد**: "وتثبيت الفؤاد إنما يكون بالاعتبار بالتجارب، والإفادة من خلاصة التجربة، والصبر على التحدي، والقناعة بأنّ المعوّل عليه هو العواقب البعيدة، وليست النتائج القريبة، وجولات الغلبة السريعة"(سعاد عبد الله، 1436هـ ، ص22) ، فهو مرحلة لاحقة للنظر والتفكر والتدبر، يحصل بها الاطمئنان، ويزول الخوف والتوجس، وتستقوي بها الدعوات في مواجهة الهواجس المستقبلية.

ولقد استقرأنا ما جاء في التعقيبات على القصص خصوصا ممّا دلّ على الغرض والحكمة، فكان لدعائم النظر السنني فيها أوفر نصيب، حيث رصدنا تكرار مصطلحات: التفكر، والتدبر، والاعتبار، وتثبيت الفؤاد، فجاءت النتائج على النحو الآتي:

جدول3. مصطلحات المقصد السنني في آيات القصص

الإحصاء وفئاته	الاعتبار	التفكر	التدبر	تثبيت الفؤاد
التكرار	12	8	6	6
النسبة	% 37.5	% 25	% 18.75	% 18.75

تضعنا القراءة الأولية للجدول أعلاه أمام نتيجة دقيقة تتعلق بترتيب دعائم المقصد السنني للقصص القرآني، بما يجعل لفظ الاعتبار ومشتقاته في الصدارة ب12 مرة ، يتلوه مصطلح التفكر ومشتقاته بـ 8 مرات ، متبوعا

بمصطلح التدبر ومشتقاته بست مرات ، ليأتي رابعا تردّد ما تعلّق بتثبيت الفؤاد على اعتباره أخصّ بالخطاب المباشر للنبي صلى الله عليه وسلم، فهو المتلقي الأوّل لهذه القصص، وهو المتأثّر الأول في هذه المرحلة المكية التي كادت آيات القصص تقتصر عليها بالأذى، والتكذيب، والاتهام، بما يقوّيه من أخبار سابقيه من الأنبياء، ويسلّيه عمّا كان يلاقي، بناء على العواقب التي سردها عليه القرآن الكريم، حتى يطمئن على مآل المشركين، ومآل الدعوة المحمية برب العالمين، فلا يضطرب، ولا يغتمّ، بل يثبت ويواصل دعوته واثقا مطمئنا.

"وتأتي أهمية القصص القرآني، الذي شغل مساحات تعبيرية وفنية كبيرة ومؤثرة في القرآن، في أنها تمثّل رحلة البشرية وما لحقها من علل، وتاريخ النبوة وكيفية تعاطيها مع الحياة، في كلّ الظروف والأحوال، وتقدّم نماذج للاقتداء في المجالات الحياتية المختلفة، وتمنح دليل العمل لكيفية التعاطي مع الصراع الأزلي بين الخير والشرّ، والعدل والظلم، والحرية والاستبداد والاستعباد، والألوهية والتأله، والتوحيد والشرك، والله والطاغوت، والإيمان والكفر، والمستضعفين والكبراء، وتكشف عن طباع النفوس، وخصائص الشعوب، فالقصص موطن عبرة، ودليل عمل، في الوقت نفسه، "(سعاد عبد الله، 1436هـ،ص22)

فلا يعدو ما ذكرناه من أغراض ترسيخ العقيدة، وغرس الأخلاق، وتلقين التفكّر أن يكون ركائز مقاصدية للقصص، ترقى به من مجرّد العرض الإخباري إلى الإعلام الرابط للدعوات برباط التوحيد المتين، وخيوط الأخلاق المحكمة لنسيج المجتمع، استبصارا بالواقع والمستقبل على هدى من الماضي بما كان فيه من هدى وضلال، "وهذا التكامل في الأغراض والمقاصد يجعل القصة في القرآن الكريم إحدى أهمّ وسائل التبليغ القرآنية المتعددة في الشكل، والمتحدة في الهدف، تنقل إلى الإنسان تجارب إنسانية مختلفة ومتعددة، وقعت في أمكنة وأزمنة معينة، لكن طريقة تقديمها، وأسلوب عرضها المعجز في القرآن الكريم يجعلها تنساب في حاضر المتلقي وعقله ووجدانه، كي يأخذ منها العبرة، ويعيد بها تحديد واقعه وحياته"(سعاد عبد الله، 1436هـ، ص36) فالقرآن الكريم يبقى كتاب الهداية، ونبع الكلام الراقي، بما جمعه في ثناياه من مخاطبة العقل والقلب والوجدان، لتبقى العقول دائما به مضيئة، مع هزّ القلب بما يثبّته من مواطن العبرة، وإمتاع الوجدان بما تنساب به الآيات من عميق الدلالات.

خاتمة:

إنّ القصص القرآني ذو أبعاد عميقة في حياة الناس، وذو تأثير عظيم في صناعة الإنسان، فبالقصص يُصنع إنسان العقيدة (الدين)، ويُصنع أضا إنسان الفضيلة (الأخلاق)، بل ويصنع إنسان الزمان (الاعتبار السنني)، والقصة في القرآن أداة تربية للنفوس، ووسيلة تقرير لمعانٍ وحقائق ومبادئ متناسقة مع السياق الذي ترد فيه.

ولقد خرجنا من هذه الدراسة المختصرة المركّزة في هذا الموضوع بنتائج نراها على قدر من الأهمية في إطار الدراسات القرآنية، أبرزها:

- القصّ القرآني متميّز في كلّ النواحي المضمونية، والسردية، والفنية الجمالية، فهو عرض واقعي، ساق عبر الكتاب الحق حقائق الأمم السابقة، بأبعاد عقدية، أخلاقية، وسننية في أسلوب فني بليغ على ما تميّز به القرآن الكريم عن غيره من كلام البشر.

ـ صرّحت آيات القصص بما كان من الأنبياء والصالحين من الدعوة إلى عقيدة التوحيد، تعريفا بالخالق، وتعظيما له لربوبيته، مع التأكيد على جانب الألوهية، حفظا للدين في أساسه العقلي والقلبي، ومزجا بين الوعد والوعيد ترغيبا وترهيبا على ما كان من الاستجابة لأهل الحق، نصرةً، ومحق الباطل إهلاكا وإبادة.

ـ الصبر مفتاح من مفاتيح الدعوات، مع حلم وأناة، يستدعيهما التبليغ، حتى تتحقق الهداية، وتخلص العبادة لله وحده. والشاهد في ذلك ما تكرر من مشتقات مادته، مقارنة بغيره من الأخلاق المطلوبة في الدعوة فرديا وجماعيا، فحق الداعي إلى الله تعالى النصر بعد الصبر والحلم، وغايته المرسومة له هي السعي في نشر الهداية، والتمكين للعبادة في الأرض.

ـ القصص في حقيقته سرد، ولكن قصص القرآن دروس للبشرية لتنتفع بأحوال الأمم السابقة، وتحسن استثمار السنن الربانية، ومفاتيح ذلك هي: التفكر، والتدبر، والاعتبار، مع خصوصية التثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم، ومن معه، ومن سيأتي بعده من رجال الدعوة وفرسانها. فمن تفكّر أقبل، ومن تدبّر حقّق وتعمّق، ومن اعتبر أخذ الدرس، ولم يكرّر الأخطاء، وفي كلّ تثبيت وتمحيص لسالكي طريق الله.

ولئن ركّزنا العرض في هذه الدراسة الموجزة بناء على الاستقراء الذي وقفنا من خلاله على درجة حضور هذه الأبعاد العقدية، الأخلاقية السننية فإنّ المجال بعدُ يظلّ مفتوحا ولحوحا للدراسة الواعية لهذا الجانب من التنزيل، استلهاما، واستشرافا لسبيل خلاص البشرية على ضوء ما كان من شأن الأمم الغابرة، ودور الدعوات السماوية في استنقاذها من الهلاك المبين.

ونضع في ختام هذه الدراسة توصيات أبرزها:

ـ ضرورة الاستثمار في الأدوات البحثية لتحقيق أدق النتائج في الدراسات القرآنية، التي أُشبعت بحثا بالمقاربة الكيفية، لكنها تبقى في حاجة إلى الاعتماد على المقاربات الكمية الإحصائية تفتيشا في قاموس القرآن اللغوي، وإطلاقاته الاصطلاحية بما يعرض بعضها على بعض، ويستخرج منها الدلالات الكامنة في إطار منظومة نصية متكاملة، يُنتقى فيها لكلّ سياق ما يناسبه من ألفاظ.

ـ اعتماد الزوايا المتعدّدة لعروض المواضيع القرآنية بما يتجاوز الدراسة الموضوعية إلى مقاربات دلالية، مقاصدية، تنطلق من التدقيق المصطلحي، مرورا بالتدقيق الدلالي في إطار السياقات لبناء النظرة المقاصدية.

ـ الاستفادة من قصص القرآن الكريم بطرق علمية مبتكرة تطوّع أدوات الإحصاء وتحليل المضمون لتقريب المعاني، وتوضيح الأغراض الهدائية من قصص القرآن الكريم.

مراجع الدراسة:

الكتب:

باباسيلا، سعيد محمد، أسباب هلاك الأمم السالفة كما وردت في القرآن الكريم، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 2000م.

حريري، عبد الله محمد، القيم في قصص القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، جامعة طنطا، 1988م.

الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار الفكر، دمشق، 1981م.

سلطان، جاسم، فلسفة التاريخ، مؤسسة أم القرى، ط 5، 2010م.

سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط7، 1979م.

القرضاوي، يوسف، الصبر في القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1989م.

ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار الكتب التونسية،1984 م.

ابن كثير، اسماعيل بن عمر، تحقيق : سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، ط2،1999 م.

لعويد، عصام بن صالح، فن التدبر في القرآن الكريم، جامعة الإمام محمد بن سعود، 2016م.

ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، 1984م.

المودودي، ابو الأعلى، المصطلحات الأربعة في القرآن، دار القلم، بيروت، ط5، 1971م.

المقالات:

سعاد عبد الله الناصر، بلاغة القص في القرآن وآفاق التلقي، كتاب الأمة، العدد 169، قطر، السنة الخامسة والثلاثون، رمضان 1436هـ.